إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلما تسليمًا، أما بعد:

فلقد بعث الله ﷻ نبينا محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وليكون الدين كله لله ﷻ، وليعبد الله وحده لا شريك له. وقد انقسم الناس في هذا الهدى إلى أربعة أقسام:

الأول: مؤمن ظاهرًا وباطنًا، **والثاني**: كافر ظاهرًا وباطنًا، **والثالث**: مؤمن ظاهرًا وكافر باطنًا، **والرابع**: كافر ظاهرًا ومؤمن باطنًا. ويفصل الإمام ابن تيمية رحمه الله هذه الأقسام فيقول: (الناس في الهدى الذي بعث الله تعالى به رسوله ﷺ أربعة أقسام:

• **القسم الأول**: قبلوه باطنًا وظاهرًا، وهم نوعان: أحدهما: أهل الفقه فيه والتعليم، وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالى كتابه،

وبلغوه الأمة، واستنبطوا أسراره وكنوزه، فهؤلاء مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم، وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء والقوت والدواء وسائر ما يصلح لهم.

النوع الثاني: حفظوه وضبطوه وبلغوا ألفاظه إلى الأمة، فحفظوا عليهم النصوص، وليسوا من أهل الاستنباط والفقه في مراد الشارع؛ فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه، والأولون أهل فهم وفقه واستنباط وإثارة لدفائنه وكنوزه. وهذا النوع الثاني بمنزلة الأرض؛ التي أمسكت الماء للناس فوردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به.

• **القسم الثاني**: من رده ظاهرًا وباطنًا وكفر به، ولم يرفع به رأسًا، وهؤلاء أيضًا نوعان:

أحدهما: عرفه وتيقن صحته؛ ولكن حمله الحسد والكبر وحب الرياسة والملك والتقدم بين قومه، على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقين.

النوع الثاني: أتباع هؤلاء الذين يقولون: هؤلاء ساداتنا وكبراؤنا، وهم أعلم منا بما يقبلونه وما يردونه، ولنا أسوة بهم، ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم، ولو كان حقًّا لكانوا هم أهله وأولى بقبوله، وهؤلاء بمنزلة الدواب والأنعام، يساقون حيث يسوقهم راعيهم،

وهم الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦ - ١٦٧].

• **القسم الثالث**: الذين قبلوا ما جاء به الرسول، وآمنوا به ظاهرًا وجحدوه وكفروا به باطنًا، وهم المنافقون الذين ضرب لهم هذان المثلان بمستوقد النار وبالصيب. وهم أيضًا نوعان:

أحدهما: من أبصر ثم عمي، وعلم ثم جهل، وأقر ثم أنكر، وآمن ثم كفر. فهؤلاء رؤوس أهل النفاق وساداتهم وأئمتهم، ومثلهم مثل من استوقد نارًا ثم حصل بعدها على الظلمة.

والنوع الثاني: ضعفاء البصائر الذين أعشى بصائرهم ضوء البرق، فكاد أن يخطفها لضعفها وقوته، وأصم آذانهم صوت الرعد، فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق، ولا يقربون من سماع القرآن والإيمان، بل يهربون منه، ويكون حالهم حال من يسمع الرعد الشديد، فمن شدة خوفه منه يجعل أصابعه في أذنه، وهذه حال كثير من خفافيش البصائر في كثير من نصوص الوحي، وإذا وردت عليه مخالفة لما تلقاه عن أسلافه وذوي مذهبه، ومن يحسن به الظن، ورآها مخالفة لما عنده عنهم، هرب من النصوص وكره من يسمعه إياها، ولو أمكنه لسد

أذنيه عند سماعها، ويقول: دعنا من هذه، ولو قدر لعاقب من يتلوها ويحفظها وينشرها ويعلمها، فإذا ظهر له منها ما يوافق ما عنده مشى فيها وانطلق، فإذا جاءت بخلاف ما عنده أظلمت عليه، فقام حائرًا لا يدري أين يذهب، ثم يعزم له التقليد وحسن الظن برؤسائه وسادته على اتباع ما قالوه دونها، ويقول مسكين الحال: هم أخبر بها مني وأعرف...

والمقصود أن هؤلاء المنافقين قسمان: أئمة وسادة يدعون إلى النار، وقد مردوا على النفاق، وأتباع لهم بمنزلة الأنعام والبهائم، فأولئك زنادقة مستبصرون، وهؤلاء زنادقة مقلدون، فهؤلاء أصناف بني آدم في العلم والإيمان ولا يجاوز هذه السنة؛ اللهم إلا من أظهر الكفر وأبطن الإيمان، كحال المستضعف بين الكفار الذي تبين له الإسلام ولم يمكنه المجاهرة بخلاف قومه، ولم يزل هذا الضرب في الناس على عهد رسول الله وبعده، وهؤلاء عكس المنافقين من كل وجه.

وعلى هذا فالناس إما مؤمن ظاهرًا وباطنًا، وإما كافر ظاهرًا وباطنًا، أو مؤمن ظاهرًا وكافر باطنًا، أو كافر ظاهرًا ومؤمن باطنًا، والأقسام الأربعة قد اشتمل عليها الوجود، وقد بين القرآن أحكامها، فالأقسام الثلاثة الأُول ظاهرة، وقد اشتمل عليها أول سورة البقرة.

وأما القسم الرابع: ففي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥]، فهؤلاء كانوا يكتمون

إيمانهم في قومهم ولا يتمكنون من إظهاره، ومن هؤلاء مؤمن آل فرعون كان يكتم إيمانه، ومن هؤلاء النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ، فإنه كان ملك النصارى بالحبشة، وكان في الباطن مؤمنًا)[1].

والذي يهمنا في هذه الدراسة القسم الثالث الذي آمن بما جاء به الرسول ﷺ ظاهرًا وكفر به باطنًا، سواء رؤساؤهم أو مقلدوهم، وهم المنافقون الذين كادوا لهذا الدين وأهله في مختلف الأزمان، وحذر منهم القرآن في مواطن كثيرة، وكشف أستارهم وأسرارهم، وذلك لعظيم خطرهم وكيدهم على الإسلام وأهله.

وهذا القسم من الناس هم الذين ذكرهم ابن القيم رحمه الله في الطبقة الخامسة عشرة من طبقات المكلفين، وذلك في قوله:

(الطبقة الخامسة عشرة: طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر، ومعاداة الله تعالى ورسله. وهؤلاء المنافقون وهم في الدرك الأسفل من النار. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، فالكفار والمجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم في دركات النار، لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين.

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص ٢٦-٣١ (باختصار).

ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر. أي لا عدو إلا هم، ولكن لم يرد ها هنا حصر العداوة فيهم، وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم، بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهرًا وموالاتهم لهم، ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار، ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها.

فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم، أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم، لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أيامًا، ثم تنقضي ويعقبها النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحًا ومساءً، يدلون العدو على عوراتهم، ويتربصون بهم الدوائر، ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر، فلهذا قيل: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، لا على معنى أنه لا عدو لكم سواهم؛ بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوًّا من الكفار المجاهرين[1].

وقال في موطن آخر: (فما اتصف به المنافقون من مخادعة الله ورسوله والذين آمنوا، والاستهزاء بأهل الإيمان، والكذب،

(١) طريق الهجرتين ص ٥٩٥-٥٩٦.

والتلاعب بالدين، وإظهار أنهم من المؤمنين، وأبطنوا قلوبهم على الكفر والشرك، وعداوة الله ورسوله، أمر اختصوا به عن الكفار، فتغلظ كفرهم به، فاستحقوا الدرك الأسفل من النار)[1].

ونظرًا لهذه المخاطرة العظيمة التي تنجم عن النفاق والمنافقين، وما يحدثونه من فتن، ومصائب، وبلايا، على الإسلام وأهله، لا جرم كانوا أحق بالفضح والكشف وتعريتهم للمسلمين؛ كي تأخذ الأمة حذرها منهم، وتقوم بواجب الجهاد المتعين ضدهم، ولا سيما في هذا الزمان الذي اشرأب فيه النفاق، وتفنن أهله بوسائل وأساليب ماكرة، ربت على مكر من سبقهم من المنافقين، ومردوا بذلك على النفاق.

وإسهامًا مع إخواني الدعاة والمجاهدين في جهاد الكفار والمنافقين، أكتب هذه الرسالة الموسومة بقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، أسأل الله ﷻ أن يرزقني فيها الإخلاص والصواب، وأن يتقبلها مني، وأن ينفع بها إخواني المسلمين.

وقبل الدخول في فصول هذه الرسالة، أسوق بعض الأمور التي دفعتني إلى كتابتها، والتي تؤكد أهمية الموضوع، وذلك فيما يلي:

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٩٨.

الأمر الأول:

بيان خطر المنافقين الزنادقة على الإسلام والمسلمين، وأن خطرهم يكمن في إظهارهم الإسلام، وإبطانهم للكفر وبغض الإسلام وأهله، مستخدمين في ذلك من وسائل المكر والتلبيس ما يكون سببًا في انخداع كثير من المسلمين بهم، واستماعًا لشبهاتهم وتلبيساتهم، كما قال ﷻ: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]، أي قابلين مخدوعين لكلامهم مستجيبين لهم.

فإذا كان جيل القرآن الفريد في زمن الرسول ﷺ، كان بينهم منافقون، وكان في المسلمين سماعون لهم، فما الظن فيمن بعدهم؟ ولا سيما بعد ظهور وسائل للمكر والخداع في زماننا اليوم لم تكن معهودة في أزمنة سابقة، فكان منافقو زماننا اليوم أشد خطرًا من المنافقين الذين ظهروا في أزمنة خلت من قبلنا، فكان لزامًا بيان خطرهم وكشف عوراتهم وتلبيساتهم، وبيان صفاتهم، وتحذير الناس من شرهم وخبثهم وهذا من أهم ضروب الجهاد والمدافعة، ويكفينا في بيان خطرهم قوله ﷻ عنهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، وسيأتي تفصيل وبيان معنى هذه الآية في مبحث قادم إن شاء الله تعالى.

ولذلك جاء الأمر بجهادهم في سورتين من كتاب الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]، وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله:

(فكشف عورات هؤلاء وبيان فضائحهم وفساد قواعدهم؛ من أفضل الجهاد في سبيل الله، وقد قال النبي لحسان بن ثابت: (إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن رسوله)[1]، وقال: (أهجهم أو هاجهم وجبريل معك)[2] وقال: (اللهم أيده بروح القدس)[3]، ما دام ينافح عن رسولك[4] وقال عن هجائه لهم: (والذي نفسي بيده لهو أشد فيهم من النبل)[5].

ومما يؤكد خطرهم تحذير الله ﷻ لعباده المؤمنين منهم، وفضحه لهم، وبيان صفاتهم في كتابه الكريم، فلقد صدر أطول سورة في القرآن - وهي البقرة - بذكر صفاتهم، حيث ذكر أربع صفات للمؤمنين، وآيتين في الكفار، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية، لبيان خطرهم، وعموم الابتلاء والفتنة بهم، وجاء الحديث عنهم في أكثر من نصف سور القرآن المدنية، واستغرق الحديث عنهم ما يقرب من ثلاث مئة وأربعين آية من كتاب الله ﷻ، فكانوا بذلك أخطر على المسلمين من الكفار المعلنين لكفرهم، وذلك بأن الإسلام بناء والمنافقون ينخرون قواعده لأنهم بداخله، والكافرون يضربون أسواره لأنهم خارجه؛ لذا حذرنا الله ﷻ من المنافقين أكثر من الكافرين.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٠) بلفظ مقارب.
(٢) البخاري (٤١٢٣)، مسلم (٢٤٨٦).
(٣) البخاري (٤٥٣)، مسلم (٢٤٨٥).
(٤) رواه مسلم (٢٤٩٠).
(٥) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/ ٣٠١-٣٠٢).

حتى قال ابن القيم رحمه الله: (كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم، لكثرتهم على ظهر الأرض وفي أجواف القبور، فلا خلت بقاع الأرض منهم، لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات)[1].

وقال في موطن آخر: (وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلّى لعباده أمورهم، ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدًّا؛ لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة.

يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه عِلْم وإصلاح؛ وهو غاية الجهل والإفساد.

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟! وكم من حِصْن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟! وكم من عَلَمٍ له قد طمسوه؟! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟! وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها؟! وكم عموا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟!.

فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية. ويزعمون أنهم بذلك مصلحون ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢])[2].

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٥٨.
(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٤٨.

ولو تأملنا أسباب سقوط الدول في التاريخ الإسلامي، لرأينا أن سقوطها كان بأيدي المنافقين الذين مكن لهم، فأعطوا العدو الوفاق.

الأمر الثاني:

بيان صفاتهم التي يعرفون بها، كما جاء ذلك في القرآن الكريم، وإنزالها على منافقي زماننا اليوم، وبيان أن النفاق لم يخل منه زمان، ولا سيما زماننا اليوم الذي نجم فيه النفاق وظهر فيه من صفات المنافقين ومكرهم وخداعهم وتلبيسهم ما لم يظهر في أي زمان مضى، ومن تمردهم على النفاق وتمرنهم عليه أن اخترعوا أسماء أخرى، يصرفون بها الناس عن تسميتهم لهم بالمنافقين، تارة باسم الليبراليين، وتارة بالعلمانيين، وتارة بالحداثيين العصرانيين.

كل هذا ليهربوا من الوصف الشرعي والحقيقة الشرعية التي سماهم الله بها بالمنافقين، وهذا من التلبيس والتدليس الذي يجب أن يزال عن الناس.

يقول الأستاذ عبدالله التميمي:

(سألت أحد العامة في معرض حديثنا عن فتن هذا الزمان: هل يوجد منافقون في هذا العصر؟ فأجاب بأنه لا يوجد، بل كانوا في عهد النبي ﷺ، ثم ذهبوا بذهابه! فقلت: وما يدريك؟ فقال: إنا لا نسمع الآن عنهم شيئًا.

إن هذا النموذج الذي يمثل جزءًا من عامة الناس يترك أمرًا مهمًّا غاية الأهمية، ويغفل عن قضية من أخطر القضايا.

فهو ينام في أحضان عدوه ويظنه أمه، ويطعنه العدو من خلفه ويظنه أخاه يمازحه، ويعتقد أنه لا يوجد منافقون.

ولا غرابة! فإنه قلما يسمع عن المنافقين في مجتمعاتنا، وعن أساليبهم، هذا إن سموا منافقين، فهو إن سمع يسمع أخبارًا عن العلمانيين أو الحداثيين أو غيرهم، دون أن يدرك أن هؤلاء هم المنافقون.

وما أن يسمع المجتمع كلمة منافق حتى تجده يكره ويعادي، ويحذر من نعت بهذه الصفة، أعاذنا الله وإياكم من النفاق وأهله، أما إذا سمع عن العلمانيين أو غيرهم تجده لا يكرههم ولا يعاديهم، مثل كرهه وعداوته للمنافقين، لا لشيء إلا لأنه لم يطلق عليهم لقب المنافقين، وتجد أن عامة الناس لا يدركون أن هؤلاء العلمانيين وغيرهم هم المنافقون، وهم المفسدون، أحفاد عبدالله بن أبيٍّ ابن سلول وغيره ممن سار على نهجه.

لذلك فإني أتوجه إلى العلماء والدعاة وطلبة العلم أن يحذروا الناس من النفاق وأهله، ويبينوا للناس أساليبهم، كما كان نهج القرآن مع رسول الله ﷺ، وأن يسموا العلمانيين والحداثيين وغيرهم، ممن سار

على شاكلتهم بالمنافقين. حتى يتلقاهم المجتمع بحزم وحذر أكثر، ويكرههم غاية الكراهية، وعندما يقرأ المسلم مواقفهم في سورة آل عمران أو النساء أو الأنفال أو التوبة أو الحشر أو المنافقون أو غيرها.

ينزل هذه الآيات على الواقع ويدرك خطورة الأمر، وبذلك يكسب أهل الصحوة المجتمع تلك القوة الضاربة في مواجهة أولئك (المنافقين) دون تعب أو عقد محاضرات وكتابة مقالات؛ إذ إن المجتمع جاهز لمعاداة هؤلاء ومحاربتهم ما داموا منافقين[1].

ويدخل في وصف النفاق: المنافقون والمنافقات، ولما للمنافقات من خطر على الدين وأهله، فقد خصهن الله ﷻ بالذكر، فقال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٦٧]، ولا يظهر خطرهن كما يظهر اليوم في واقعنا المعاصر.

الأمر الثالث:

اشرأب النفاق في زماننا اليوم حتى تجاوز النفاق الفردي إلى النفاق الاجتماعي، والنفاق السياسي، والنفاق الوطني، وانطلق أهله فيه من عمل منظم وتخطيط ماكر، توزعوا فيه الأدوار، ومردوا فيه على النفاق، وأصبح للنفاق مراكزه ومقاره ومؤسساته الاستخباراتية.

(١) مجلة البيان عدد ١٥٢ ص١٣٨.

وأصبح النفاق هو السلعة الرائجة في السياسة، فنافق الحاكم محكوميه، ونافق المحكومون حاكمهم، إلا من رحم الله، وقل مثل هذا في النفاق الاجتماعي بين الناس والمداهنات فيما بينهم، وقل مثل ذلك في النفاق الوطني، الذي يزعم أهله أنهم وطنيون مخلصون في ولائهم لأوطانهم؛ وهم أعداء الوطن، وأعداء العقيدة بما يسعون به من إفساد لعقائد الناس وعقولهم وأموالهم، ويدعون أنهم حماة الأمن وهم أعداؤه في الحقيقة.

فكان لزامًا كشف هذه الأنواع من النفاق، والتحذير من أهلها، والسقوط في مكرهم وخداعهم.

الأمر الرابع:

الحملة العالمية التي يشنها الكفار بمختلف مشاربهم وعقائدهم على أهل السنة المتمسكين بالمنهج الحق، واستخدامهم في ذلك أخبث الوسائل وأمضاها في الخداع والتلبيس. والكفار في حملتهم هذه لا يستطيعون تنفيذ أهدافهم إلا بحبل من الله وحبل من الناس.

أما حبل الله فهو مقطوع عنهم، ولم يبق في أيديهم إلا حبل الناس، المتمثل في المنافقين، الذين تمالؤوا مع إخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب في عدائهم للدين الحق وأهله، قال الله ﷻ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١].

وفي ذلك يقول الدكتور عبدالعزيز كامل حفظه الله تعالى وهو يتحدث عن حرب الغرب للإسلام السني الحق باسم الإرهاب:

ولكن السؤال هنا: هل تستطيع أمريكا وحدها أن تقوم بهذه الحرب؟ بالطبع لا؛ وبالقطع لا؛ فلا بد أن يقوم معها أو عنها نواب مخلصون لها، ليحققوا كل مستطاع مما تريده هي وما يريدونه هم قبلها.

فالحرب المعلنة من أمريكا على الإسلام؛ ما كان لها أن تعلن وتنفذ بهذه الجراءة والشراسة والشمول، لولا استنادها إلى مواقف أكثر جراءة وشراسة وشمولًا من المنافقين، وإلا فمن لأمريكا بالتدخل المباشر في الأحوال الداخلية للدول لإعادة صوغ مناهجها والتحكم في إعلامها وتوجيه الرأي العام بها ومحاصرة الدعوة والإصلاح فيها؟! ومن لأمريكا بجعل البلدان الإسلامية أرضًا مستباحة للأغراض العسكرية والمخابراتية والاقتصادية؟

أقول: نحن نعيش حرب الغرب على الإسلام، وبالتحديد على أهل السنة منذ عقود طويلة في الكثير من بلدان المسلمين؛ حيث ناب

ولا يزال ينوب عنهم فيها منافقون ظاهرون، أو مستخفون مستترون، يحاربون الدين وأهله تارة باسم الحرب على الرجعية، وتارة على أعداء التقدمية، وتارات ضد المتطرفين والظلاميين والمهووسين الدينيين والأصوليين، وأخيرًا استقر اصطلاح المجرمين على تسمية الحرب ضد الإسلام بـ (الحرب على الإرهاب)[1].

ومن هؤلاء المنافقين الذين خدموا الكفار في حملتهم على أهل السنة: المنافقون من الرافضة الباطنية، وزنادقة المتصوفة والعلمانيين الحداثيين في كل بلد، وهذا لا نقوله جزافًا، بل هو ما اعترف به الكفار أنفسهم في مراكز أبحاثهم وفي علاقاتهم بهؤلاء المنافقين.

ومن هذه المصادر ما ورد في خطة (راند) المشهورة في حربها للإسلام الحق وأهله، فلقد أسهمت هذه المؤسسة الكفرية المفسدة في فضح عملائها من المنافقين من بني جلدتنا المتعاونين معها في تنفيذ مخططاتها، وسواء شعرت هذه المؤسسة بأنها أسهمت في فضح عملائها المنافقين أم لم تشعر، فإنها قد أسدت خدمة كبيرة للدعاة الصادقين في فضح أعدائهم المنافقين، الذين يعيشون بينهم، وجلت لهم أمرهم، وفي هذا خير عظيم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، يقول الأستاذ ياسر الشهري في مقال له بعنوان (خطة راند لكشف المنافقين).

(١) انظر مقال: (رايات النفاق والحرب المعلنة على الإسلام) مجلة البيان: العدد (١٧٣).

(.. جاء التقرير الأخير لمؤسسة راند (٢٠٠٧) من داخل أمريكا، وفي ثناياه بشائر النصر والتمكين لهذا الدين، ويكشف العجز والخذلان الذي يتقلب فيه أعداء الدين في داخل المجتمعات الإسلامية (جميع المنافقين) وخارجها (بعض الكافرين)، ويحدد بجلاء العلاقة الوثيقة والأصل المشترك بين النفاق والكفر في محاور بارزة: (عدم تحكيم الشريعة في كل شؤون الحياة، عدم قيام الدولة الإسلامية، فساد المرأة أصل التغيير، محاربة!!! فكر الجهاد وتجريمها، حرية تغيير الدين أو تعديله أو تكوين مزيج منه!!، الحرية الجنسية).

أراهن أن هذا التقرير بمثابة الكارثة على عملاء أمريكا في داخل البلدان المسلمة، ولكن تبقى آليات المنافقين (المخادعة، والكذب) حائلًا دون توبتهم بعد هذه الفضيحة التاريخية، إلا أن يشاء الله.

إن المتأمل في السمات التي اشتمل عليها مقياس راند للمسلمين المعتدلين!، وللمنتج المستقبلي من المسلمين، الذي سينتج بواسطة: «الولايات المتحدة وحلفائها»، ليتوهم أنهم قد رجعوا إلى «سورة التوبة» في استنباط مكونات مقياسهم للمنافقين ومشروعاتهم، لذا يمكن استخدام هذا المقياس (الأمريكي) في كشف أفعال المنافقين في الواقع، ولن ينبس أحدهم بكلمة (المتشددين، أو الإقصائيين، أو أصحاب الرأي الأوحد)، لأن «أمريكا» هي مصدر المقياس!.

لقد اختصر التقرير الكثير من التفاصيل التي كتبت للرد على المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، فقد أظهر -التقرير- تصنيفه لكافة المعتقدات والآراء والأفكار، التي تتشبث بها الفرق والطوائف التي انحرفت عن منهج الإسلام من المبتدعة وأصحاب الشركيات؛ ضمن سمات الإسلام المستقبلي، الذي يتسيد فيه الباطل ويغيب فيه الحق (زعموا)؛ فتحدث التقرير عن آماله المعقودة على الطائفين بالأضرحة!!.. وجعل الوصول إلى هذه الوضعية (طواف المسلمين بالأضرحة) مقياسًا على تحقيق الأهداف الأمريكية لتغيير فكرة الإسلام (التوحيد)، وهذا يكشف بجلاء حقيقة الموحدين وطبيعة الآثار التي يتركها التوحيد على معتنقيه، وكما كان التوحيد ولا زال؛ القضية الأولى لدعاة الحق عبر تاريخ البشرية ومحور دعوة الرسل والأنبياء، فإن الكفر والشرك والبدع في المقابل هدف دعاة الباطل (شياطين الإنس والجن) ومحور مشروعاتهم وحركتهم في الحياة...

إن من أبرز ما يتميز به هذا التقرير أنه أعلن عن طبيعة المعركة ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧])[1].

الأمر الخامس:

نظرًا لخفاء المنافقين في مجتمعات المسلمين اليوم لكثير من الناس بسبب إظهارهم بعض شعائر الإسلام، وإخفائهم لكفرهم

(١) موقع المسلم.

وكرههم للدين وأهله، فلقد تباينت مواقف المسلمين، ومنهم بعض الدعاة والمجاهدين في التعامل مع المنافقين، ما بين متساهل معهم يحسن الظن بهم ويواليهم، ويلقي بسمعه إليهم، وينخدع بشبهاتهم، وآخرون وقفوا موقف العداء البين لهم، والمواجهة بالقوة معهم، والتسرع باستحلال دمائهم، وذلك لردتهم، دون النظر للمفاسد التي تترتب على هذه المواجهة.

ولذا فمن أهداف هذه الدراسة التوصل بتوفيق الله ﷻ وتسديده إلى الموقف الذي أحسبه صحيحًا في التعامل مع النفاق وأهله.

الأمر السادس:

لما كان النفاق نفاقين: نفاق أكبر صاحبه مخلد في النار، ونفاق أصغر لا يخرج من الملة، وهو من اتصف بصفات المنافقين العملية: كالكذب وإخلاف الوعد والغدر والخيانة -وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى- ولما أصاب حياتنا من انتشار هذه الصفات الذميمة في تعاملاتنا وأخلاقنا كان من أهداف هذه الدراسة بيان الخلل الذي دب في حياتنا، وذلك بالاتصاف ببعض خصال وأعمال المنافقين، حتى طال هذا الخلل بعض الدعاة والمصلحين، فكان لزامًا علينا تفقد أحوالنا وإصلاح ما فسد منها من هذه الخصال الذميمة، والحذر من عقوباتها في الدنيا والآخرة، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (وأما النفاق فالداء العضال الباطن الذي يكون الرجل ممتلئًا منه وهو

لا يشعر، فإنه أمر خفي على الناس، وكثير ما يخفى على من تلبس به، فيزعم أنه مصلح وهو مفسد [1].

الأمر السابع:

ومع هذه الخطورة العظيمة للنفاق والمنافقين، فإن الكتابة عنهم اليوم قليلة، لا تكافئ خطرهم وفتنتهم ولا سيما منافقي زماننا، فأردت من هذه الكتابة أن أسهم ولو بجهد المقل في فضح هذا العدو المتربص بنا والإسهام في مجاهدته وتحذير الناس من خطره وشره.

وبعد هذا التمهيد بين يدي الكتاب أذكر الفصول الأساسية للكتاب، وذلك فيما يلي:

- الفصل الأول: ذكر معنى النفاق وأنواعه.
- الفصل الثاني: ذكر بعض ما ورد في الحذر من النفاق وأهله من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح.
- الفصل الثالث: ذكر أهم أوصافهم وخصالهم، وإنزالها على منافقي زماننا.
- الفصل الرابع: ذكر بعض أخطارهم وفتنتهم.
- الفصل الخامس: ذكر الطريقة الشرعية في التعامل مع المنافقين.
- الخاتمة.

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٤٧.